عصا (العم معيض)

في البداية، أعترف لكم بأن والدي رحمه الله وسامحه وعفا عنه وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، سحبني على ظهري فوق الحجارة، و(الصفيان) أكثر من خمسمائة متر وأنا ابن عشر سنوات تقريباً حتى (انقرش) ظهري وتشقق ثوبي، وخرج الدم من كل مكان، وأنه صفعني (صمقني) ذات مرَّة وأنا ابن سبع سنوات، وبقيت آثار أصابعه على (صفحي) أسبوعاً كاملاً، وما زال دوي تلك الصفعة يرنُّ في أذني إلى اليوم، وكان يسلك (مؤخراتنا) بما نسميه (العَصَم)، وهو سير رقيق من جلود الأنعام اللينة الحارقة الخارقة، أما أغصان الرمان والسيسبان (السوسي) فحدث بها عن جلودنا ولا حرج، وكل ذلك لأسباب طفولية بحتة، لا يمكن أن أعاقب ابني عليها اليوم، حتى لو بنبرة صوت عالية.

أقول ذلك كي لا يقال (يتفلسف) علينا ابن جريبيع.

ولكنني أسامح أبي الذي غادر الدنيا وأنا في الحادية عشرة وأعذره لمجموعة أسباب، منها:

- أنه أبي، وأدرك ما معنى كلمة أب، بعد أن كبرت وفهمت.
- وأنه كان رجلاً فلاحاً أمياً بسيطاً، يعيش في قرية في أعالي جبال السروات، ويمارس ثقافة التأديب بالضرب التي كانت سائدة في ذلك الزمان، لدرجة أن أول واحد على يمينك من (الجماعة) يضربك عند أتفه خطأ وبمنتهى البساطة، (واللي جاي يضرب واللي رايح يضرب)، (وكلُّه بيضرب كلُّه).
- أن المعلم، الذي كان بمثابة (المثال) في ذلك الوقت (الجاهل)، كان يمارس الضرب حتى (بالهراوة) بضمير تربوي مرتاح، وكانت عبارة (لكم اللحم ولي

obeikandi.com

العظم) أيقونة تربوية متفقاً عليها بين المدرسة والأسرة.

- أنني ممن وهبهم الله القدرة النفسية والعقلية على استيعاب العنف وتجاوزه، فنجوت من آثاره التي دمَّرت بعض أقراني في تلك القرية وجنت على مستقبلهم العلمي خاصة.

أعود لعصا العم معيض، وفي معظم منازلنا عصا، ومعظم الآباء في مجتمعنا هم (معيض)، هذه العصا التي جلدت أفكارنا وقسمت صفوفنا وجعلتنا نستنفر خبراتنا وعقولنا لنؤيد أو لنعارض ذلك الفعل بأدلة من كتب الدين والفلسفة والتربية والاجتماع، فوجدنا من أيَّد الضرب بقوة، وبعضهم (هايط) بمكافأة الضارب لغرض دعائي بحت، ووجدنا من عارض الضرب بقوة، و(هايط) بمكافأة المضروب لنفس الغرض البغيض، كما (هايطَتْ) بدورها لجنة حقوق الإنسان التي تعشق القشور دائماً وتعرض عن اللب.

وقد بدا للبعض في البداية أن حجم الاهتمام بهذا الحدث يدل على سطحية المجتمع باعتباره قضية تافهة من وجهة نظره ولا تستحق كل هذا الصخب، ولكن سرعان ما تبين للجميع أن الموضوع يصب في عمق الوعي وعمق ثقافة المجتمع وفلسفته، بل وصل إلى عمق الإيمان والإعتقاد، بعد أن اتخذ كل طرف زاوية يحلل منها ويبرر، أو يحرِّم ويجرِّم هذا الفعل استناداً إلى دليل شرعي، أو نظرية تربوية، فرأينا الدليل والدليل المضاد، ورأينا الاستناد إلى أقوال علماء الدين وعلماء الفلسفة والتربية والاجتماع، ورأينا الاستناد إلى التجارب والخبرات الحياتية المختلفة، بل ورأينا المقارنات بين ردود فعل المجتمع على فعل الضرب بين الأب والمعلم أو بين الأب والزوج مثلاً، وتجاوز ذلك إلى مشروعية الجلد كحد من الحدود الشرعية.

إذاً، المسألة لم تكن بالبساطة التي توهمها البعض، بل إنها مسألة مصيرية في نظر الجميع، يفضي تركها إلى انفلات الأبناء والطلاب والزوجات عند المؤيدين، ويفضي فعلها إلى تحطيم الذات والتعدي على الكرامة الإنسانية وخلق العاهات

openkamal.com

النفسية عند المعارضين.

لقد رأينا الأب والمعلم والزوج الذي ينافح عن الضرب ويتمسك به بقوة، ويعتبره حقاً من حقوقه التي كفلها له الشرع من وجهة نظره، ووافق عليه بعض العلماء، وأيده الدليل، ورأينا الأب والمعلم والزوج الذي يعتبر الضرب انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان وقد نهى عنه الشرع من وجهة نظره، ونهى عنه البعض الآخر من العلماء، وأيدت النهي مجموعة من الأدلة، وقد دارت حوارات مطولة في مختلف مواقع التواصل الاجتماعي وصلت لحدٍّ إعادة تفسير معنى الضرب ذاته.

بعد هذا العرض أود أن ألخص موقفي، أنا الماثل أمامكم، من هذه المسألة.

أولاً : أنا ضد ضرب الأبناء جملة وتفصيلاً.

ثانياً: ضرب أبيك لك ليس حجة تقيمها لجواز ضربك لابنك، فنحن نعذر أباك لجهله ولظروف مجتمعه، لكننا لا نعذر متعلماً يتصرف تصرف الأمي في عصر الوعي والنور والحضارة، إن تقليدك لأبيك الذي كان (يجلدك) هو أكبر دليل على أن العنف لا يولِّد إلا العنف، وستنتقل هذه الدوامة لأبنائك وأحفادك إن لم تخرج منها.

ثالثاً: إن حاجتك لضرب الأبناء تعني أنك أخفقت في جانبٍ ما من تربيتك لهم، وعليك مراجعة نفسك وأساليبك، فلا تعالج (خيبتك) في التربية بخيبة أخرى.

رابعاً: إن أعظم وأكبر وأهم مؤثر في تربية أبنائك هو أن تكون قدوة حسنة لهم، وليس جلاداً تدخل الرعب والكره في نفوسهم، كما أن احترام عقولهم وشخصياتهم ومناقشتهم بشفافية ووضوح ونصحهم بلطف وروّية والصبر عليهم، أعظم أثراً من كل (فَلَقَات) الدنيا.

خامساً: يحتج البعض بأن العصا أنتجت رجالاً يشار إليهم بالبنان، وهنا نقول: إن التربية نتائجها قيمية أخلاقية فكرية تخلق الإنسان الواعي الخلوق المتحضر، وليست نتائج مادية صرفة، ولا اعتداد بكون الإنسان أصبح غنياً أو موظفاً

وأخلاقه سيئة، الغنى والوظيفة ليست دليلاً ولا مقياساً على نجاح التربية لأن حتى الحرامي يمكن أن يكون غنياً، والكذاب يمكن أن يكون موظفاً، بل الوعي والتحضر والخلق وحسن معاملة الناس، واحترام النظام، والمحافظة على مكتسبات الوطن هي الدليل على حسن التربية.

سادساً: اليابانيون لا يضربون أبناءهم، وانظروا أين وصلوا ؟! كما أن ضرب الصغار في أمريكا مثلاً جريمة يعاقب عليها القانون، ويصل الأمر إلى السجن سنين طويلة، وإلى حرمان الأب أو الأم من الولاية، فماذا خسر الأمريكان وماذا كسبوا من تلك القوانين؟!.

سابعاً: هل الجميع فعلاً مؤهلون ليكونوا آباء ومربين؟!، لا أظن ذلك، إذ يكفي من خلال متابعة سلوك بعض الطلاب وألفاظهم في المدارس، أن تكتشف بأن الكثير من الناس من المعيب، بل هو حرام، أن يكونوا آباء وأمهات ومسؤولين عن أسرة من الأساس، فضلاً عن أن يكونوا مربين.

ثامناً: غالبية هؤلاء الذين تحدثنا عنهم في الفقرة السابقة هم ضحايا العنف والضرب، وأذكر أن المعلمين في مراحل الدراسة المختلفة جنوا على الكثير من الطلاب وكرهوهم في المدرسة وتسببوا في فشلهم ورسوبهم فتركوها، ونفس ذلك الجيل الآن بعضهم أصبح من الآباء الفاشلين.

تاسعاً: ذلك الجيل المعنَّف، آباء اليوم، من الذين لم يستطيعوا تجاوز آثار العنف العقلية والنفسية، يحقدون على كل ما يمت للتعليم والتربية بصلة، ويسعون لتشويه صورة المعلم بكل وسيلة، ولا يقيمون له وزناً ولا احتراماً، ويشجعون أبناءهم على احتقار المعلم، بل وبعضهم يسعى لمهاجمته وإهانته داخل المدرسة، تفريغاً للأحقاد القديمة ضد مسمَّى معلم، وكنوع من الانتقام اللاواعي.

عاشراً: وهم ضحايا فعلاً، حين أصبحوا جيلاً من أنصاف المتعلمين، لا يؤمنون بقيم ولا مبادئ، وليس لديهم شخصياتهم المستقلة، بل مجرد أتباع ورعاع، وبعضهم متمرد على كل الأعراف والقيم، وقد وصل نتاجهم إلى المدارس منذ

سنين، ما جعل المعلمين في حالة ضجر من الطالب وأسرته ومن التدريس كله.

حادي عشر: إن الضرب يفقد الضحية الثقة في نفسه، ويهدر كرامته، ويبعث الأمراض والعقد النفسية ويقتل الطموح والإبداع، ويصنع النفاق، النفاق لواقع مرير ومكروه لا بدَّ من معايشته وتقبّله، والنفاق بإظهار الحب والاحترام لمن لا يحب ولا يحترم، والنتيجة النهائية شخصيات مهترئة مهزوزة، لا يمكن أن تسهم في الرقي والبناء، بل ستبقى عالة على المجتمع مدى الحياة، وربما تنخرط في أمور تضر المجتمع بعد أن تهرب عن واقعها، فتتلقفها بيئات الخراب والدمار من مخدرات وانحلال وضياع وإرهاب.

obeikandl.com